الإكتشافات الطاقوية الجديدة في شرق أفريقيا
ـ بين الطموحات والتحديات ـ

أ/خالد بقاص

جامعة الوادي

الملخص:

مع الظهور اللافت والمهم لمنطقة غرب أفريقيا ضمن خريطة الطاقة العالمية منذ نهاية الحرب الباردة، بدأت منطقة شرق أفريقيا تطل بإمكانيات واحتياطات طاقوية ضخمة، خصوصا مع الإكتشافات والدراسات الحديثة، والتي أبانت عن اكتشاف مخزونات كبيرة للغاز الطبيعي في موزمبيق وتنزانيا، وذلك حسبما أفادت به شركة أناداركو الأمريكية وعديد الشركات البترولية العاملة في المنطقة، وهو ما يشكل تحديا جديدا لقادة هذه الدول فيما يخص استغلال تلك الإمكانيات وانعكاس نتاجها على تحسين وضع شعوبها المتردي.

ABSTRACT

With the increasing of the importance of west africa region in the map of the international energy since the end of the cold war, east africa even became a strong pole with great energy capacities; especially at the time of the discovering the gaz in Mozambique and Tanzany by ANADARKO and the other foreign petroleum companies.

مقدمة:

بعد الأهمية المتزايدة التي شهدتها القارة الأفريقية على مستوى الإكتشافات الطاقوية وتطورها اللافت انطلاقا من مطلع هذا القرن خاصة منطقة غرب أفريقيا، برزت من جديد منطقة أخرى أثبتت عديد الدراسات الإستكشافية الحديثة بأنها ستكون على قدر كبير من الأهمية الطاقوية مستقبلا، وهي منطقة شرق أفريقيا، فبالرغم من ضعفها بتروليا مقارنة بمنطقة غرب أفريقيا (500 بئر مقارنة بـ1500لأفريقيا الغربية) إلا أن عديد الإستكشافات الحديثة أثبتت غناها بثاني أهم مورد طاقوي وهو الغاز.

أولا: خلفية تاريخية لأهم منتجي الطاقة في شرق أفريقيا

تعد منطقة شرق أفريقيا من أضعف مناطق القارة إنتاجا للطاقة باستثناء السودان الذي ظهرت به إمكانيات نفطية تجارية منذ أواخر القرن العشرين، حيث تم ضخ أول شحنة نفط خام في سبتمبر

1999، ثم تزايدت إلى أن بلغ حجم الخام المنقول في جانفي 2007 إلى حوالي 260 ألف برميل يوميا.

وقد بدأ الإنتاج النفطي السوداني سنة 1996 بمعدل 1.8 ألف برميل يوميا، وهو ما لم يكن يتجاوز 7% من الإستهلاك المحلي من النفط والذي بلغ في نفس السنة نحو26.3 ألف برميل يوميا، حيث كان السودان يعتمد اعتمادا مطلقا على الإستيراد لتوفير احتياجاته النفطية قبل ذلك العام[1]. وقد بقي الإنتاج يراوح حول مستويات متواضعة إلى أن اكتمل بناء خط الأنابيب الرئيسي الذي يربط حقول النفط بالجنوب بميناء بورسودان على البحر الأحمر، ومنذ ذلك الوقت زادت عمليات اكتشاف وتنمية النفط، حيث وصل الإنتاج سنة 1999 إلى حوالي63 ألف برميل يوميا وواصل ارتفاعه بمرور السنوات وصولا إلى 450 ألف برميل يوميا سنة 2007.

ووفق مجلة النفط والغاز الحكومية السودانية، فقد بلغ الإحتياطي السوداني النفطي المؤكد حوالي 5 مليار برميل حسب تقديرات جانفي 2009، يقع معظمه في الجنوب في حوضي ملوط ومجلد، ليصبح السودان خامس أكبر احتياطي نفطي في القارة الأفريقية بعد كل من ليبيا ونيجيريا والجزائر وأنغولا على الترتيب[2].

وقد استطاع السودان سنة2008 إنتاج حوالي 480 ألف برميل يوميا، استهلك منها 86 ألف برميل يوميا، فيما ذهب الباقي والمقدر بـ 394 ألف برميل للتصدير، ووفقا للإحصائيات التجارية الرسمية الصادرة عن أطلس التجارة العالمي، فإن أغلب النفط السوداني اتجه للصين بواقع 214 ألف برميل يوميا، تليها اليابان بواقع 102 ألف برميل يوميا ثم أندونيسيا بحوالي 43 ألف برميل يوميا، إضافة إلى كل من الهند وكوريا الجنوبية وتايوان وتايلاند وماليزيا، وذلك حسب إحصائيات سنة 2008.[3]

غير أن سوء إدارة هذه الإمكانيات والواقع السياسي التاريخي في السودان أفرز انشطار البلاد إلى دولتين بعد أن صوت الجنوبيون لصالح الإنفصال في شهر جانفي 2011 وتشكيل دولة مستقلة في الجنوب وهو ما أحدث مشاكل كبيرة كان أبرزها الإختلاف حول النفط الذي تقع نسبة 80% منه في الجنوب بينما يتم تصديره للخارج عبر الموانئ الواقعة في الشمال، مما أدى إلى إيقاف تصديره لفترات عديدة وطويلة.

ثانيا :الإمكانيات الطاقوية الجديدة لمنطقة شرق أفريقيا

توصلت شركات "كايتي" وإكسون موبيل" و"ستايت أويل" إلى اكتشاف احتياطات ضخمة من الغاز في المحيط الهندي، وتوالت اكتشافات الثروات الغازية انطلاقا من السواحل الكينية مرورا بموزمبيق وتنزانيا ثم مدغشقر والسيشل.

كما ذكرت عديد الدراسات الجيولوجية أن الإحتياطات وصلت إلى 12.500 مليار متر مكعب تتركز أغلبها في سواحل تنزانيا والتي تتواجد بها أيضا مناجم النحاس والألماس والذهب.

و ذكرت شركة أناداركو البترولية الأمريكية والتي تنشط في موزمبيق، على لسان منفذها" ماير براون" بأن موزمبيق ستصبح ثالث أكبر مصدر للغاز الطبيعي المسال في العالم، وهذا ضمن المؤتمر الطاقوي السنوي العام في هيوستن بالولايات المتحدة الأمريكية في ماي 2012، كما ذكر "رمزي فاهل" نائب الرئيس والمدير العام التجاري لشركة أناداركو موزمبيق، بأن الشركة تعمل مع الحكومة الموزمبيقية لتطوير إنتاج الغاز الطبيعي لمستوى غير مشهود من قبل في القارة الأفريقية، وأضاف بأن شركة أناداركو وضعت برنامجا طموحا لإنتاج الغاز في موزمبيق، ولبدئ تصديره في سنة 2018 حسبما ذكره موقع الشركة على شبكة الإنترنت.[3]

وقد برز حوض "روفوما "في شمال موزمبيق كواحد من أكثر أماكن الغاز التقليدي غزير الإنتاج في العالم.

وللإشارة فإن الإستكشافات في أعماق مياه شرق أفريقيا بدأت بإعطاء نتائج إيجابية منذ 2010 مع عمليات شركة أناداركو في حقل "وينجامر" في المنطقة 01 في موزمبيق، وتواصل هذا النجاح مع توسيع أناداركو لاستكشافاتها في ذات المنطقة، وإضافات شركة إيني الإيطالية التي أعلنت عن عمليات اكتشاف في المنطقة 04، حيث توقعت وجود أكثر من 80 تريليون قدم مكعب من الغاز على مسافة قريبة من ساحل الموزمبيق.[4]

وتعود أولى اكتشافات المحروقات في موزمبيق إلى سنوات الستينيات من القرن الماضي، وتقوم حاليا مجموعة ساسول الجنوب أفريقية باستغلال حقلي "تيمان" و"بان" في جنوب البلاد، وتنقل الغاز منهما بواسطة خط أنابيب إلى جنوب أفريقيا، غير أن اكتشاف حوض "روفوما" في الشمال منح أهمية خاصة لمنطقة الشمال الموزمبيقي وأعطاها بعدا إقتصاديا جديدا، إضافة إلى ما سبق فإن أهمية موزمبيق تتأتى من خلال تواصل مياهها مع القارة الآسيوية حيث تكمن الأسواق المستهلكة الموعودة.[5]

وذكرت شركة النفط والغاز التابعة للحكومة الهندية يوم الإثنين26 أوت 2013 والمعروفة اختصارا بـ : "أو أن جي سي" أنها وافقت على شراء نسبة 10% من حصة شركة أناداركو العاملة في موزمبيق مقابل 2.64 مليار دولار، وتسعى الشركة الهندية لتأمين إمدادات الغاز مع تزايد الطلب في بلد يعد ثالث أكبر اقتصاد آسيوي ويضم ثاني أكبر عدد من السكان في العالم، إذ تعتمد الحكومة الهندية بشكل كبير على الإستيراد من أجل تلبية الطلب المحلي على الوقود، لذلك فهي تسعى لإنجاز صفقات استحواذ من أجل تأمين إمدادات طاقوية طويلة الأجل.[6]

وأعلنت شركة الكهرباء الوطنية في جنوب أفريقيا" إسكوم" أنها تقوم مع شركة الكهرباء الموزمبيقية والشركة الوطنية للنفط في موزمبيق إضافة إلى مجموعة شركات أخرى، بتوزيع وبيع الغاز الطبيعي المستخرج من حقل باندي للغاز على المصانع الصغيرة والمناطق السياحية للمستهلكين المحليين في مدن عدة في موزمبيق، كما تقوم شركة الغاز الموزمبيقية بإنشاء خط أنابيب يبلغ طوله 100 كلم يمتد من الأرض الأم إلى جزر عدة، وقد ذكر المدير التنفيذي لشركة "إسكوم "سولي مولوكو أن شركة الغاز ستكون قادرة على توفير إمدادات الغاز والكهرباء لمناطق واسعة في موزمبيق، ومن ثم توسيع العمل إلى التجارة الدولية.[7]

بالإضافة إلى موزمبيق أثبتت عديد العمليات الإستكشافية نجاحا مهما بشأن وجود الغاز في تنزانيا، والذي ظهر في عديد الأماكن في البلاد، إذ أعلنت مجموعة" بي جي" البريطانية المنتجة للغاز وبالشراكة مع شركة "أوفير"، عن اكتشاف مهم قبالة السواحل التنزانية، حيث تعمل الشركتان على إجراء دراسات تقويمية في القطاع رقم 01 جنوب تنزانيا، وفي القطاع رقم 02 تعمل كل من شركتي "ستايت أويل" و"إكسون موبيل" واللتين دخلتا مجال المنافسة للفوز بعقود التنقيب هناك، وللإشارة فإن عمق الغاز التنزاني يصل إلى كيلومترين تحت سطح البحر، وبالتالي فإن دخول هذه الشركات الكبرى إضافة إلى إيني الإيطالية سيساهم في تطوير الإستكشافات إلى مدى ومساحات أوسع.

ووفقا لتقديرات هيئة المسح الجيولوجي الأمريكية، فإن نحوا من 253 تريليون قدم مكعب من الغاز موجود قبالة سواحل كل من كينيا وتنزانيا وموزمبيق، وهو ما يعد رقما مهما إذا ما قورن بـ186 تريليون قدم مكعب تتوفر عليه نيجيريا أكبر منتج للطاقة في القارة الأفريقية.[8]

وبشأن ما يجري العمل عليه حاليا، فإن مجموعة أناداركو تعمل مع مجموعة "تيكنيب" الفرنسية على مشروع مصنع لتسييل الغاز في موزمبيق يفترض إنجازه في سنة 2018، كما أعلنت أناداركو عن اكتشاف جديد في 11 يونيو 2012 يرفع مواردها القابلة للإستغلال نظريا إلى1.7 تريليون قدم مكعب، وحسب وسائل الإعلام الموزمبيقية فإن مجموعة أناداركو ستستثمر نحو 15 مليار دولار في مشاريعها في موزمبيق، أي ما يفوق إجمالي الناتج الداخلي الموزمبيقي والبالغ12 مليار دولار سنة2011[9]

كما تقوم شركة أناداركو بعمليات تقويمية واستكشافية في أعماق بحار" غولفينو " على الساحل الموزمبيقي والتي تتوقع بها موارد تغطية إجمالية من سبعة إلى عشرين تريليون قدم مكعب من الغاز.[10]

ثالثا :مستقبل المنطقة في ظل الإكتشافات الجديدة :

بقدر ما تقدمه النتائج الإيجابية لعمليات الإستكشاف في منطقة شرق أفريقيا من طموحات وآمال تنموية لغد أفضل، بقدر ما تضعه هذه الإكتشافات أيضا من تساؤلات وهواجس، فعملية تطوير

بنية اقتصادية لدول تعاني مستويات معيشية متدنية أمر ليس بالهين، إذ تحتاج هذه الدول إلى استثمارات هائلة بمليارات الدولارات في مشاريع البنية التحتية، وهذه يتم جمعها من الأسواق العالمية، كما أن كلفة مشاريع تطوير القطاع الطاقوي تعتمد على توقعات سعر السوق العالمية المتقلبة، وهذه الضبابية في تحديد الأسعار يمكنها الزيادة في تأخير عمليات تطوير الإستكشافات النفطية والغازية الجديدة.

هاجس ثان أيضا يعتبر على قدر كبير من الأهمية، خاصة إذا ما تعلق الأمر بالطاقة، وهو إمكانية أن تزيد هذه الإكتشافات من فساد الطبقة السياسية في دول شرق أفريقيا التي تحتل مراتب متقدمة في مؤشرات الفساد، وبالتالي التأكيد على ضرورة توفر شفافية واضحة فيما يخص الإتفاقيات الإستثمارية مع الشركات الأجنبية بشكل يحفظ مصالح الدولة وشعبها، كما أن من المهم النظر في كيفية إدماج هذه الإكتشافات ونتائجها في اقتصاديات هذه الدول بشكل أفضل، ولا يتم أيضا الإقتصار فقط على إيجاد أسواق خارجية لموارد الطاقة، بل تطويرها إلى بناء مصاف جديدة لتلبية الحاجات المحلية في شرق أفريقيا، وهنا تظهر أهمية وجود مؤسسات وطنية مستقلة لمراقبة ونشر سجلات كل الضرائب والعائدات، إضافة إلى استثمار هذه المشاريع في إيجاد فرص عمل تخفف من مستويات البطالة المرتفعة في هذه الدول، واستعمال الأموال النفطية بشكل يدعم الوحدة الوطنية والإقتصاد الوطني، إذ من المتوقع أن تنشب خلافات داخلية عدة ضمن البلد الواحد حول أماكن تشييد الصناعة البترولية، وبالذات المصانع الغازية التي تكلف ملايير الدولارات، وما يجنيه الزعماء السياسيون ورجال الأعمال المحليون، ناهيك عما توفره من فرص عمل للقوى العاملة المحلية، هذا بالإضافة إلى إمكانية توفير الخدمات الصحية وبناء الطرق في المناطق المجاورة لهذه الصناعات الضخمة، وقد وقع فعلا أن نشبت مظاهرات عنيفة في منطقة "متوارا" جنوب تنزانيا خلال شهر ديسمبر 2012 حول تشييد خط أنابيب غاز ومحطة لتوليد الكهرباء تبنيهما شركة صينية بالتعاون مع شركة تنزانية، حيث اختلفوا حول مكان تشييد محطة الكهرباء بين دار السلام، العاصمة التنزانية، التي تتوفر فيها محطات للكهرباء من قبل، أم في الجنوب الذي يفتقر إلى الكهرباء، ونتج عن هذه الإحتجاجات اعتقال العشرات من المتظاهرين وحرق منازل عدة مسؤولين حكوميين بارزين.[11]

هاجس ثالث على قدر كبير من الأهمية يتمثل في منافسة الأطراف التقليدية المنتجة للغاز على غرار كل من قطر التي تتوافر بها طاقة انتاجية تبلغ نحو 77 مليون طن سنويا، والتي تسوق معظم غازها المسال تجاه الأسواق الآسيوية وبعض الدول الأوروبية، إضافة إلى أستراليا التي تتوالى بها اكتشافات غازية كبيرة جعلت من الحكومة الأسترالية تتبنى مخططا يستهدف تشييد مصانع ضخمة لتسييل الغاز، وهنا التحدي الكبير لدول شرق أفريقيا، التي تستهدف هي الأخرى الأسواق الآسيوية بالدرجة الأولى، مما سيؤدي إلى تغييرات في أسعار الغاز العالمية.[12]

خلاصة واستنتاجات

يمكن للإكتشافات الطاقوية التي ظهرت في شرق القارة الأفريقية أن تحسن من وضع تلك الدول الإقتصادي والتنموي، وهذا مرهون بوجود قيادة سياسية حكيمة تجعل من هذه الإكتشافات مصدر تطور ورفاهية لا مصدر فرقة ونزاع كما شهدت ذلك عديد الدول الأفريقية، وما وضع السودان الذي يعتبر ضمن الدول الشرق الأفريقية ذات الإمكانات النفطية المعتبرة، إلا مثال قريب وواضح يبين إلى أي مدى يمكن أن يساهم سوء إدارة الموارد الطاقوية في زيادة تأزم وتفاقم الوضع الإقتصادي والإجتماعي، بل وفي تهديد وحدة واستقرار البلاد، فبروتوكول تقسيم الثروة الذي تم الإتفاق عليه في مؤتمر نيفاشا بكينيا، عزز رغبة الإنفصال لدى زعماء الحركات المتمردة في جنوب السودان نظرا لاقتسام المداخيل النفطية على أسس عرقية ومناطقية ضيقة لا على أسس قومية جامعة، وهو الذي دفع بسكان الجنوب إلى تفضيل الإنفصال في الإستفتاء الذي أجري في سنة 2011.

وبالتالي إذا أرادت هذه الدول التي لازالت في بداية طريق الإكتشافات أن تجعل من تلك الموارد الطاقوية سبيلا لتقدمها ورقيها، فمن الواجب عليها تحويل نتاج هذه الموارد إلى مشاريع وطنية وتنموية يستفيد جميع المواطنين من نتاجها .بل تطويعها لتساهم أيضا في الحفاظ على النشاطات الإقتصادية التقليدية كالزراعة، التي يعتمد قسم عريض من هذه المجتمعات على مداخيلها منذ أزمنة بعيدة.

التهميش

-1حسين عبد الله،" نفط السودان: عامل سلام أم بؤرة صراع ، "**شؤون عربية**، ع.133 (ربيع 2008)، ص ص. 207-196.

-2المرجع نفسه، ص ص.264،263.

3- Energy Information Administration,"Country Analysis Briefs Sudan,"September 2009,

www.eia.doe.gov/New Cabs/V6 /Sudan/Full.html (**01/12/2010**).

4- Karen Boman,"Anadarko:Mozambique Could Become World`s Third Largest LNG Exporter,"Wednesday,May23,2012

www.rigzone.com/news/article.asp?a_id=rigzon118108

5- Martin Kelly,"Transforming East Africa`s exploration successes into value,"**Offshore**(November2012).pp.40-42

-6موقع أرقام،" شركة تابعة للحكومة الهندية تشتري حصة في حقل للغاز في موزمبيق مقابل 2.64 مليار دولار،" 2013/08/26،

www.argaam.com/article/articledetail/359822/

-7موقع بانابرس،"**شركة كهرباء جنوب إفريقيا تنضم الى مشروع للغاز فى موزمبيق،**"

www.panapress.com/82--13-2938-18-lang3-index.html

8- Martin Kelly,**opcit**

-9شبكة النبأ المعلوماتية،"شرق أفريقيا ...في مصاف عمالقة الغاز،" الأحد 19/آب/2012

www.annabaa.org/nbanews/221/08/2012html

-10منصف الخروبي،"أفريقيا الشرقية: العملاق النفطي القادم،"

www.alarab.co.uk/index.asp ?fname=\2012\12\12-

26\955.htm&dismode=x&ts=26-12-2012%207:27:50

-**11** وليد خدوري،" شرق أفريقيا.. منطقة بترولية واعدة، "

www.siyassa.org.eg/NewsContent.aspx (**17/07/2013**).

- **12**وليد خدوري،" تطور صناعة البترول في شرق أفريقيا، 30 "يونيو2013

www.alarabiya.net/ar/aswaq/2013/06/30/